

المثل السائر

حكمه وأعرب بقوله هذا عن متانة علمه فإن أبا عبادة أتى في شعره بالمعنى المقدود من الصخرة الصماء في اللفظ المصوغ من سلاسة الماء فأدرك بذلك بعد المرام مع قربه إلى الإفهام وما أقول إلا أنه أتى في معانيه بأخلاط الغالية ورقى في ديباجة لفظه إلى الدرجة العالية .

وأما أبو الطيب المتنبي فإنه أراد أن يسلك مسلك أبي تمام فقصر عنه خطاه ولم يعطه الشعر من قياده ما أعطاه لكنه حظي في شعره بالحكم والأمثال واختص بالإبداع في وصف مواقف القتال وأنا أقول قولاً لست فيه متأثماً ولا منه متلثماً وذاك أنه خاص في وصف معركة كان لسانه أمضى من نصالها وأشجع من أبطالها وقامت أقواله للسامع مقام أفعالها حتى تطن الفريقين قد تقابلا والسلاحين قد تواصلوا فطريقه في ذلك تضل بسالكه وتقوم بعذر تاركة ولا شك أنه كان يشهد الحروب مع سيف الدولة ابن حمدان فيصف لسانه ما أدى إليه عيانه ومع هذا فإني رأيت الناس عادلين فيه عن سنن التوسط فيما مفرط في وصفه وإما مفرط وهو وإن انفرد بطريق صار أبا عذره فإن سعادة الرجل كانت أكبر من شعره وعلى الحقيقة فإنه خاتم الشعراء ومهما وصف به فهو فوق الوصف وفوق الإطراء ولقد صدق في قوله من أبيات يمدح بها سيف الدولة .

(لَا تَطْلُبْ دِينَ كَرِيمًا بَعْدَ رُؤْيَا يَتِيهِ ... إِنْ الْكَرَامَ بِأَسْخَاهُمْ يَدَا خُتَمُوا) .

(وَلَا تُبَالِ بِشِعْرِ بَعْدَ شَاعِرِهِ ... قَدْ أَوْسَدَ الْقَوْلُ حَتَّى أُحْمِدَ الصَّمَمُ) ولما تأملت شعره بعين المعدلة البعيدة عن الهوى وعين المعرفة التي ما ضل صاحبها وما غوى وجدته أقساماً خمسة خمس في الغاية التي انفرد بها دون غيره وخمس من جيد الشعر الذي يساويه فيه غيره وخمس من متوسط الشعر وخمس دون ذلك وخمس في الغاية المتقهرة التي لا يعبأ بها وعدمها خير من